ابتسم..
أنت فى الاسماعيلية ؟

مدينة الإسماعيلية.. مدينة رقيقة. . باسمة.. ثانى مدن شط القناة.. المشاركة دوما بإنسانها فى التراجيديا، التى صنعتها ظروف المكان والزمان.

وإذا كانت سيناء ميناء بوابة مصر الشرقية ، فقد كانت أرض الإسماعيلية متداخلة مع سيناء قبل شق قناة السويس، لذلك فهى النطاق الأوسط، والمثلث الشمالى للصحراء الشرقية، ولم يكن بها سوى البحيرات المرة الكبرى والصغرى، وبحيرة التمساح، التى كان يعيش على شواطئها بعض القبائل العربية التى تشتغل بالرعى والصيد، وتعتبر أرض الإسماعيلية مفتاح هذه البوابة .

والثابت تاريخيا أن أرض الإسماعيلية قد عبرها العديد من الأجناس قبل الميلاد سواء القادمة من جهة الشرق، أم الشمال الشرقى، ثم الغزو التركى، كما كانت - هذه الأرض - مسارا للأنبياء والرسل عليهم جميعا الصلاة والسلام، فقد مرّ بها أبو الأنبياء إبراهيم وزوجته سارة، ومن بعده يوسف وأمه، ثم يعقوب حين أرسل إليه ابنه يوسف عليهم جميعا الصلاة والسلام.

وتتعاقب صفحات التاريخ فى هذه المنطقة، إلى أن جاء الفتح الإسلامى، ودخل عمرو بن العاص وجنوده مصر، متخذا طريق سيناء ليصل إلى العريش، ثم يحاصر مدينة الفرما.

ويأخذ تاريخ الاسماعيلية شكلا «متصاعدا» بحفر قناة السويس فى ٢٥ أبريل ١٨٥٩، بينما فى ١٨ نوفمبر ١٨٦٢، نشهد تدفق مياه المتوسط فى بحيرة التمساح، وفى ١٨ مارس ١٨٦٩ ثم وصل البحر المتوسط بالبحيرات المرة، وفى ١٥ أغسطس ١٨٦٩ تم وصل البحر الأحمر بالبحيرات المرة، إلى أن تم افتتاح القناة للملاحة فى ١٨ نوفمبر ١٨٦٩.

وبحفر قناة السويس وما تلاه من أحداث، تشكل فصولا من ملحمة الإنسان العربى فى مصر، فى صراعه مع القوى الاستعمارية، حيث تكلف المصريون - مبدئيا - فى الحفر معاناة ١٢٥ ألفا منهم، تداخل عرقهم مع دمهم مع دمعهم، فى تراجيديا، سجلها التاريخ بأحرفه، ليقول دوما: البقاء لأصحاب الحق، الأرض، والعرض.

لذلك: فإن الإسماعيلية بصورتها الحالية، كانت كمدينة نتيجة لمشروع ربط البحرين الأبيض والأحمر عن طريق قناة السويس، وهو المشروع الذى حل محل القناة القديمة، التى كانت تربط بين البحرين عن طريق قناة النيل، وقد قامت بالفعل - هذه المدينة - مع افتتاح القناة العالمى للملاحة عام ١٨٦٩، حيث شهد هذا الافتتاح ملوك العالم ورؤساؤه، وظلت القناة عبئا على مصر بعكس ما كان مستهدفا منها،

وصارت مطمعا للدول الغازية خاصة بريطانيا، التى أصدرت أمرا لأسطولها باحتلال كل من بور سعيد والإسماعيلية، فى الوقت الذى لم تجد فيه «المقاومة» نظرا لخيانة خديوى مصر آنذاك، التى مهدت لدخول الإنجليز الاسماعيلية، وجعلها أكبر قاعدة بريطانية فى الشرق الأوسط، ثم تجدد النضال مرة ثانية لتعود الإسماعيلية إلى أحضان أمها «مصر» فى العام ١٩٥٦.. ليكتب فصلا جديدا من فصول تراجيديا الإنسان المصرى على شط القناة.

والاسماعيلية كانت تعرف قديما باسم «قرية التمساح» وسميت بالإسماعيلية.

وقد ارتبط اسم الإسماعيلية بجميع معارك التحرير التى خاضتها مصر. وفى الخامس من يونيو ١٩٦٧ تعرضت فى ذلك، شأنها شأن التوأم «بورسعيد والسويس» للعدوان الإسرائيلى، وكانت مركزا للهجوم حيث تعرضت لنيران العدو اليومية طوال حرب الاستنزاف، مما أدى إلى هجرة أهاليها وناسها إلى مختلف المحافظات، حتى معركة السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

ولأكتوبر وقع خاص فى الإسماعيلية، ففضلا عما تم إنجازه فى عام ١٩٧٣، فان عام ١٩٥١ قد شهد فى اليوم السادس عشر من هذا الشهر اندلاع الشرارة الأولى لحركة المقاومة الشعبية ضد الإنجليز، حيث خرجت أول مظاهرة من طلبة المدرسة الثانوية والتى طالبت بتحرير أرض القناة وطرد الإنجليز.

أما فى اليوم الخامس والعشرين من يناير ١٩٥٢، فقد ارتبط بتضحيات «الإسماعيلاوية» مع إخوانهم فى جهاز الشرطة، حيث اشتعلت الثورة ضد الغاصب، وقد احتلوا مبنى المحافظة، وقامت معركة ضارية برغم عدم التكافؤ التسليحى بين العدو وأبناء الإسماعيلية وجهاز الشرطة.

وتتوالى الأحداث الدرامية، وفى قلبها الإسماعيلية، بدءا من العام ١٩٥٦، ووصولا إلى الخامس من يونيو ١٩٦٧، ثم الفترة الزاهية فى تاريخ الإنسان المصرى، الذى أكد قدرته على المقاومة الذاتية المتنامية داخله، حتى كان السادس من أكتوبر، فأحداث الثغرة، ثم التفاوض، وصولا إلى ما نحن فيه الآن.